

أثر الخطاب الديني الإسلامي في المجتمع الجزائري
تجربتي الدعوية مع رواد مسجد ملمان الفارسي

بتبسة نموذجاً

د. أحمد عيساوي

جامعة باتنة

مدخل في المنهج والإشكال :

سؤال مصيري واستراتيجي يفرض نفسه على المشتغلين في حقل الدعوة الإسلامية أن يطرحوه باستمرار ، لأنه يدخل إلى فضاءاتهم الفكرية والنفسية والروحية والأدبية والمنهجية من غير استئذان ، ومن غير تردد ولا خجل ، بل يجدون أنفسهم محاصرين به بُعيد أو قُبيل كل نشاط ديني ذاتي ، أو جمعي ، أو اجتماعي ، أو فكري ، أو ثقافي ، أو تربوي ، أو إعلامي . لأنه يشكل عقدة مفصلية في فضاء الوعي الرسالي بحقيقة رسالة الإسلام التي نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومحطة محورية رئيسية لحامل الخطاب الديني الإسلامي الواعي ، الذي يجد نفسه محاصراً بطرحه باستمرار ، ولأن طرحه يشكل أيضاً خطأ بيانياً فاصلاً بين حامل الخطاب الواعي ، عن مثيله متمص الدور البيغائي الداهل ، الذي تعج به - للأسف - الآلاف من المساجد الجزائرية بُعيد الاستقلال .

هذا السؤال المحوري جعله الله في جبهة ومكونات هذه العملية الدعوية الدينية ، لا غنى لها عنه في سائر أركانها الرئيسية ، وفحواه هو : (ما دور وأثر فعلي التربوي والتأثيري في جمهور المدعوين ؟) ، و (هل لجهود الدعوية

تأثيرات مباشرة أو غير مباشرة في تغيير أفكار ورؤى ومعتقدات وقناعات وسلوكات وحياة جمهور المدعويين ؟) ، وبعبارة أخرى : (هل لدوري الديني من أثر في حياة المدعويين ؟) أم أنا مجرد محطة إذاعية تلقي من غير فائدة ؟ مع تسليمي المبدئي بالقاعدتين الذهبيتين في المنهج الدعوي التي يوضح أولاهما قول الله سبحانه وتعالى : { فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدَّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ * } وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم وإن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون { (الروم : 52 ، 53) . والقاعدة الدعوية الثانية التي يفصل حكمتها ويجمل ضوابطها قوله سبحانه وتعالى : { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِين * } (التغابن : 12) . وقوله تعالى : { فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ * لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّطِرٌ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * } فيعذبه الله العذاب الأكبر * إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم * } (الغاشية : 21 ، 26) . وقول رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة وأفضل التسليم : [لئن يهدي الله بك امرأً واحداً خیر لك من حمر النعم] أو [خیر لك مما طلعت عليه الشمس] .

وهذا السؤال الوجیه له مكانة كبيرة عند الاجتماعيين ، والنفسانيين ، والإعلاميين ، والسياسيين ، والتربويين ، والاقتصاديين ، الأكاديميين منهم أو المهتمين المتابعين أو العاملين في مراكز قياس الرأي ، وحركة المجتمع ، واتجاهات الصيرورة الاجتماعية . إذ ينظر كل واحد منهم تجاهه بزاوية معينة ، ويتعامل كل منهم معه بطريقة معينة ، تختلف منطلقاً ووسيلة وممارسة وأثراً وهدفاً ونتيجة ، بحسب أدوات ومنهج ووسائل كل تخصص علمي على حدة . ويفترض أن يكون لهذا السؤال المحوري حيز كبير لدى مراكز البحث والمتابعة في وزارات الشؤون الدينية في العالم العربي والإسلامي ، نظراً لما ينطوي عليه من قيم إحصائية وإعلامية ودعائية وعقائدية ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقدرة القيادة السياسية في التحكم والتوجيه والقيادة والتسيير والمتابعة

والمراقبة، وفي الحد من بعض الظواهر ، والتقليل من بعض المخاطر، وفي بث وتعميم السياسة المنتهجة من قبل السلطة ، وفي الدعاية المقنعة للتوجه العام للنظام القائم .

ولذا يُعد ركن (أي تأثير ؟) أو (بأي ردة فعل ؟) أو (رجع الصدى) أو (أثر الرسالة في الجمهور) من بين أهم الحلقات الواجب تتبعها ودراستها ضمنا لمكاسب كثيرة ، واتقاء لمخاطر كثيرة ، ودرءا لتأويلات وانحرافات متعددة .

فهو - بالإضافة إلى ما يوفره للجهات القائمة من حقائق ومعلومات عن ميول وحقيقة اتجاهات الرأي الوطني العام - يضمن لهم توفير الجهد والزمن والمال والطاقات المادية والمعنوية المبذولة ، والتي يُظن أنها تسير في الصالح العام للخطة ، وهي في حقيقتها جهود مبذولة في الفراغ . حيث يتمكنون من خلال المتابعة الدائمة لصيرورة ومؤشرات وتطورات بيانات الخطاب من التعرف على نتائج نجاح الخطة الكلي أو الجزئي ، أو فشلها ، الأمر الذي يقودهم إلى اتخاذ القرار المناسب .

فالاجتماعيون المهتمون بدراسة صيرورة التطور الاجتماعي للفرد وللجماعة والمجتمع ، يتعاملون مع هذا السؤال الإشكالي من منطق قياس وسبر الأسس والمبادئ التي تتحكم في صيرورة التطور والتخلف والتغير الاجتماعي ، بمنهج الإحصاء والمسح البياني أو التحليلي أو الاستبائي العشوائي أو الانتقائي .. ومن خلال توزيع الاستثمارات يتمكنون من تحديد بعض الإجابات التقريبية حول حقيقة التأثير والتأثر والأثر الذي يتركه الداعية أو الخطيب أو الموجه الاجتماعي من قادة الرأي ، ويعرفون مدى وحجم ومكانة وقدرة وأثر وفعالية التأثير الاجتماعي الذي يتركه هذا الداعية أو هذا القائد الذي هو من قادة الرأي في المجتمع .

وكذلك الأمر بالنسبة للنفسانيين الذي يدرسون بمنهجهم ووسائلهم وأدواتهم أثر قادة الرأي في عملية التغيير النفسي والاجتماعي للفرد وللجماعة . فيما يتجه السياسيون إلى معرفة أثر توجيهات الداعية في الجماعة بهدف توظيفه في خدمة مشاريعهم السياسية . وكذلك الاقتصاديون والتربويون ، بينما يسعى الإعلاميون من خلال مراكز البحث وقياس التأثير الاجتماعي للخطاب عموما ، الديني وغير الديني منه ، شأنهم في ذلك شأن القائمين على فروع شبكة الدراسات الإعلامية والاتصالية والإعلانية ، المهووسون بقياس ومعرفة أسس وطرق الجذب الفعالة والمؤثرة في الشبكة الاجتماعية ، بهدف استثمارها بما ينفع الجهة المرسله ، حيث تهتم مراكز البحوث والدراسات الإعلامية بركن رجوع الصدى ، أو ما يسميه البعض ركن بأي تأثير ؟ ، أو ركن بأي ردة فعل ؟ ، إذ يربطون نجاح وفشل العملية الدعوية بمدى تحقق الاستجابة ، وتفهم حقيقة الأثر الذي تخلفه الرسالة في جمهور المستقبلين على مختلف أنواعهم .

وقد قامت منذ عشرينيات القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم تبعتها أوروبا مراكز تخصصية بحثية في قياس هذا الركن المهم من أركان العملية الإعلامية ، وخلفت لنا تراكما علميا عن منظومة الرسالة الإعلامية.

وإذا كان هذا هو شأن الأكاديميين والمهتمين والسياسيين في الاهتمام والبحث والدرس والتحليل والمتابعة ، فإنه من باب أولى على القائمين على توجيه الرسائل الدينية نحو الجماهير المختلفة أن يكونوا أكثر انفتاحا وتفهما وإقبالا على إيلاء هذا الركن مكانته في نجاح أو فشل العملية الدينية . فمن خلال تجربتي الدعوية المتواضعة تبين لي أن هذا الركن المهم مغيب من أسس تفكير وعمل الجهات الدينية المتخصصة في توجيه الخطاب الديني الرسمية والشعبية . حيث لا تحفل - لأسباب ذاتية وموضوعية - الجهات الرسمية بركن رجوع الصدى المهم في العملية الدعوية ، وهي مسألة

مهمة يجب تنبيه القائمين عليها والغافلين بأهميتها في تبديد الجهود أو في دقة إصابتها لأهدافها .

ويبقى كل تخصص علمي يدرس هذه القضية من جانبه ووفق فهمه وتفاعله الإيجابي معها . وذلك بطرق القياس والاختبار والروز والاستسبار المعروفة والمجهولة .

ولعلنا قبل التعمق في التعامل مع هذه القضية الاستراتيجية في حقل الدعوة الإسلامية أن نتساءل عن ركن الإعاقة الأساسي في تشييط وإفشال عملية الاتصال الدعوي بالمدعويين . هذا إن سلمنا بداية أن نجاح العملية أو فشلها مقرون بركن دون غيره ، أو بها جميعا ، حسبما تفرزه لنا نتائج البحث والدرس والتحليل العميق . فهل ركن الداعية هو المسؤول عن نجاح العملية أو فشلها ؟ أو ركن الرسالة الدعوية ومكوناتها هو المسؤول عنها ؟ أو ركن جمهور المدعويين المستقبليين للرسالة الدعوية ؟ أو ركن الوسيلة الحاملة لمضامين ورموز الرسالة الدعوية ؟ أو بعضها ؟ أو الكل جميعا ؟ أو ركن الخلفية البيئية والاجتماعية والثقافية التي تحتضن أركان هذه العملية برمتها ؟ على اعتبار أن ركن البيئة عامل مهم ورئيس في نجاح أو فشل كل نشاط إنساني ، إذ أن البيئة المتخلفة تهزم العز والفضيلة والشرف ، فضلا عن هزيمة الشرفاء والدعاة الأطهار . وهو الأمر الذي يجب أن نخضعه للدراسة والتحليل والنظر العلمي .

غير أنني أود طرح الإجابة على هذا السؤال الاستراتيجي من خلال معاشتي ومسايرتي وتفاعلي الإيجابي مع العمل الدعوي طيلة أربعة عقود من حياتي طالبا ومطلوبا . محاولا إيجاد مقاربة تعتمد المنهج التأثري الانطباعي ، والسرد الوصفي المشاهد بالعيان ، مستعملا بعض الاستبيانات والاستمارات غير المقصودة ، التي أرى أنها أصوب وأدق وأقدر على النفاذ إلى لب المشكلة ، من تلك الاستمارات والاستبيانات التي يقدمها بعض الدارسين من بعض التخصصات العلمية بغرض إحداث مقاربة علمية ومنهجية من مشكلة من

المشاكل أو ظاهرة من الظواهر ، نظرا لما تنطوي عليه النفس الإنسانية في دخيلتها من معايب تحاول إخفاءها وتغييبها عن الواقع بآليات التخفي والتمويه والدفاع الشرعي ، الذي يسعى لتقديم التسامي القيمي والنبيل في الفرد المستجوب ، مضللا بتلك الآليات العمية العين عن مقاربة ومعاينة لب الإشكال، وبالتالي تشكيل الحواجز المنيعة من النفاذ إلى فهم المشكلة ، ومن ثم معالجتها . وقبل هذا كله نود القفز بإطلالة تاريخية تضع في مخيال القارئ مسألة أثر الخطاب الدعوي في الجمهور المدعو ، وقيمة ومكانة المرجعيات في الأمة .

* قراءة تراثية حول أثر الخطاب الدعوي في الجمهور :

حفلت مصادر التراث الإسلامي الأصيلة بالأمثلة والنظائر الكثيرة عن أثر الخطاب الدعوي في نفوس الخاصة والعامة ، ومكانة المرجعيات النخبوية في الأمة . ما يجعل الدارس البصير مشدوها وعاجزا على تفكيك رموز حكمة الأقدمين ، ولاسيما من فرسان الأجيال القرون الهجرية الأولى من عصر الحجة والمحجة . والمطلع على مصادر الثقافة الإسلامية سيجد نفسه أمام كم هائل من المشاهد النموذجية التي خلدها أتقى العلماء ، وأنقى الوعاظ ، وأخلص الفقهاء ، وأطهر العباد ، وأصفى الزهاد من المتوكلين والسالكين والمبصرين .. ممن شكلوا منارات تأثير واستقطاب لجمهور المدعوين ، فكانوا يأترون بأمرهم ، ويتحركون بمشورتهم ، ويسرون وفق ما يرسمونه لهم .

ففي عهد النبوة وتنزل الوحي وحياة الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ظهر لفيف من الصحابة ممن كان لهم تأثير فاعل في جمهور المسلمين ، كما كان الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، الذي عمل على توسيع ونشر الدعوة الإسلامية بكل ما كان يملك من وسائل ومال وجهد وأخلاق ، وما هي إلا أيام قلائل بعد دخوله الإسلام حتى أسلم على يديه نصف العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . كما كان

من جمهور الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين من يلتبس منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرأي والمشورة بصدق ، فيشيرونه بشفافية حتى ولو خالف رأيهم رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم كصنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تدوين بعض بنود صلح الحديبية وموقفه من بعض بنود المعاهدة .. لأنهم تربوا في أحضان مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي رباهم على الشورى والنصح لله ولرسوله وللمسلمين .

واستمروا رضوان الله تعالى عليهم أجمعين على ذلك النهج التربوي العظيم ينصحون لله ولرسوله وللمؤمنين في عهد الخلافة الراشدة ، فقد كان يحيط بالخلفاء ثلة من الصحابة الكبار ممن كانوا يشكلون مجلس شورى مصغر للخليفة الراشدي ، حتى استصدر الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمرا بعدم خروج وجهاء الصحابة من المدينة إلا بمشورته وإذنه ، نظرا لما كان يتوسمه من بقائهم حوله من نور يعزز الدين ، ويقوي صفوف الجماعة المسلمة ، وإن شاء سيرهم نحو عدوهم ، فيتهدد بهم ما تبقى من تماسك عدوهم .

وفي عهد دولة بني أمية قرب الخليفة الأموي الأول سيدنا معاوية رضي الله عنه رجالا عظماء إلى حضرته كالأحنف بن قيس الذي كان إذا رفع سيفه رفعت معه مائة ألف سيف دون أن يسألوه . فضلا عن احترامه وتقديره لمن كان يزوره من أهل بيت رسول الله رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما وسيدنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما وسيدنا عروة بن الزبير رضي الله عنهما.. نظرا لما يشكلونه من مكانة في أعين الناس ، حيث هم وجهائهم وقادتهم وسادتهم ..

ولنا أن نستعرض نماذج القرون الهجرية الأولى للتدليل على قيمة ومكانة المرجعيات في الأمة ، فهذا الحسن البصري رضي الله عنه ، الذي أشير على ابن الأشعث الثائر باصطحابه معه في ثورته على الحجاج ، فقال له بعض

مستشاريه : " إن سرك أن يقتلوا دونك فعليك بالحسن " الأمر الذي اضطر سيدنا الحسن على رحمة الله من التخفي عن الأنظار والعيون . وهو الأمر ذاته الذي توارثته الأمة الإسلامية كابرا عن كابر ، حيث كانت تولي وجهها نحو مرجعياتها الدينية في سائر شؤون حياتها . وما موقف الأئمة الأربعة رضي الله عنهم في عهد دولة بني العباس وموقف غيرهم من الأئمة والوعاظ والفقهاء والزهاد إلا دليل على تتبع العامة لمرجعياتهم في السراء والضراء وملامات الأمور ، حيث صرح الشعراء في العديد من المواقف أنه لا فلاح لأمة لا سراة ولا قادة لها . والقصاص المروية عن سلطان العلماء العز بن عبد السلام وابن تيمية وابن دقيق العيد وغيرهم .. ما يجعل الأمة في مأمن عن الرعونة والفردانية القاتلة .

ومآثر قادة الرأي في الأمة الإسلامية في العصر الحديث صمام أمان لها ، فعلماء كل قطر إسلامي شكلوا منارات وعي واهتداء واقتداء قادوا من خلاله ما تبقى من بؤر الوعي الرسالي في الأمة نحو صد العدوان ورد الغزو والذود عن بيضة الإسلام . وبرزت في ذلك أسماء هي الآن في نسمات ورحمات جنة ربها .

* دوافع الدراسة وفداحة العينات المشاهدة :

أحب أن أعرض نورا يسيرا من تجربتي الدعوية في سني الطلب والكد والتذل ، حيث ذلت وتزلفت طالبا شأن كل طالب علم صادق ، بعد أن بذلت أزهى سني عمري في متابعة برنامج تكويني ديني معتبر ، ضمن لي بذل مساحات معتبرة من زمني الدعوي الفاعل في مرحلة الصبا والشباب سنوات 1391-1396هـ / 1971-1975م ، وتسخير حجم معتبر من الجهد في السير والانتظار والترقب وخفض الرأس وإمالة العنق ، وتربيع القدمين لساعات طويلة في الحلقات المسجدية العامة ، وفي الحلقات المسجدية والمنزلية الخاصة ، وحبس الأنفاس في حضرة العلماء ، وقصر الطرف عن متعة التلذذ والنظر

الشهي في وجوه العلماء من أمثال الشيخ المرحوم حسن حبنكة الميداني
ومحمد عوض سعيد رمضان البوطي .. وغيره من علماء الشام الأجلاء عليهم
رحمات الله ، فضلا عن من أدركتهم من العلماء في الجامعة الإسلامية بالجزائر
أمثال المرحوم : الشيخ محمد الغزالي والشيخ يوسف القرضاوي والشيخ محمد
التومي ..

حيث ضمن لي جامع زيد بن ثابت الأنصاري وحلقاته وكتبه ونظامه
الصارم .. طيلة سني الطلب من أخذ علمي الفقه والأصول .. وضمن لي
التكوين الخاص في جامع منجك بالميدان من أخذ علم العقيدة وأصول الدين ،
وضمن لي جامع المنصور علم الحديث والأذكار النبوية ، وضمن لي جامع
الحيوطية وحلقاته العامة الحديث والسيرة واللغة والتفسير والأدب والتاريخ ..
ما أهلني للتدريس في مساجد الجزائر العامة والخاصة في الأحياء الجامعية ، إذ
كنت أعتبر نفسي مسؤولا عن ثغرة من ثغور هذا الدين ، قبل أن أنال الشهادات
العلمية التخصصية فيه الواحدة تلو الأخرى بالجامعة الإسلامية سنوات 1406-
1411هـ/1987-1992م .

وما أن بدأت التدريس في المسجد الجامع - موضوع البحث والتحليل
والدرس - حتى شخصت أمامي عينات من الأصناف البشرية التي حدثنا عنها
المولى تبارك وتعالى في القرآن الكريم ، وأنبأتنا عنها سيرة رسولنا الكريم
محمد صلى الله عليه وسلم من : منافقين وقتاتين وشغارين ومنانين وفتانين
ومحرضين ودساسين .. وطينين ومخلصين وأتقياء أيضا . الأمر الذي جعلني
محاط بهذه العينات الغبية التي كانت تتحرك أمامي في مشهد درامي مكشوف ،
ولكم رأيها تصنع الكثير من الأحداث الشيطانية المموهة بسراويل التقوى ،
والحفاظ على المسجد ، والغيرة على الدين ، والعمل على سلامة المسجد ،
وراحة المصلين . وقد عملت منذ الوهلة الأولى على تتبع نشاطات ودسائس
هذه العينات التي تمتلئ بها - بكل أسف - المساجد الجزائرية . ووجدت

نفسى - للأسف - مدفوعا للتحرك في وسط موبوء وخائق ، بعد أن كنت أظن أنني - بحكم مكانتي العلمية والدينية - قادر على صناعة مدعويين طيبين، يسعون لتغيير المنكر ، وفعل الخيرات ، فسجلت العديد من الملاحظات على سلوكات مرتادي المسجد ، والتي كانت الدافع الرئيس لمتابعة ودراسة أحوال وأصناف المصلين، الذين أحضروا معهم أخلاق الطريق ، وآداب المقاهي، وسلوكات الأرصفة ، ولغو التجمعات الشيطانية ، وسائر أمراض النفس التي ابتليت بها نفسية الفرد الجزائري من نرجسية ، وأنانية مفرطة ، وعقدة ذهان قاتلة، وكاريزماتية ، وغيرها من الأمراض النفسية .. التي يمكنني إجمال بعض تمظهراتها في النقاط التالية :

1 - بث الأراجيف والشائعات والأكاذيب حول نشاط الإمام والمؤذن والقيم ومعلم القرآن والمرشدات والقائمين على الميضاة ، ولم أسلم منها كمدرس متطوع .

2 - التآمر على الطاقم الرسمي للمسجد بمختلف طرق التحايل والكذب والتآمر ، بتوقيع العرائض ، ونشر المغالطات ، وتقديم الشكاوى للسلطات المحلية .

3 - إحداث الفوضى والتشويش في المسجد بشكل ملفت للانتباه ، ولاسيما في درس الجمعة ، والدروس الأخرى ، وعلى وجه الخصوص الدروس الرمضانية قبيل صلاة العشاء ، بهدف التسلية التي اعتادوا عليها ، دون مراعاة لآداب المسجد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية .

4 - الطعن في نزاهة الطاقم الإداري للمسجد من إمام ومؤذن وقيم ومرشدات ، وإثارة البلبال حول توزيع الزكاة والصدقات وقفة رمضان ..

5 - تحريك عوامل الجاهلية والعصبية القبلية وإثارة الفروقات المذهبية وضرب وحدة المصلين ، الذين يقصدون المسجد للتزود الروحي وتأدية العبادات .

كل هذه السلوكيات وغيرها ، والتي لم أسلم منها كإطار متطوع جئت لتنوير أهل بلدي بعد أن عصفت بهم رياح العبث والفوضى العاتية ، وتناوشتهم حمى الأمراض .. كل هذه المشاهد دفعتني لتشخيص حالة هؤلاء الرواد عن قرب ، والتي شخصتها عرضيا من خلال هذه التصرفات التي تعكس الكثير من الدلالات ، وهي :

1 - الرد على الاستمارة الموزعة :

كنت في العام الثاني 1427 هـ 2006م من التحاقي بالوعظ في مسجد سلمان قد وزعت قرابة الألف استمارة على المصلين ، وفيها بعض الأسئلة المهمة حول أهمية الدروس التي ألقاها ، وفائدتها ، ومستواها ، ولغتها ، ومدى حاجتهم إليها ، أو إلى غيرها .. واقتراحات حول الموضوعات المطروحة أو التي يحبذ طرحها وتناولها . وكانت النتيجة سلبية ومخيبة للآمال ، حيث رد علي إثنان ، طالبة جامعية من مصلى النساء ، وشاب متخرج لتوه من الجامعة ، والرد الثالث كان استفسارا حول جدوى الاستمارة .

2 - الموقف من زراعة عشرين شجيرة :

وصادف في نفس العام أن مدير الغابات قد أهدى صديقا له من مرتادي المسجد عشرين شجرة هدية للمسجد ، كي يقوم المصلون بزراعتها ، فأحضرها المسكين للمسجد ، ثم طلب مني إعلام المصلين بوجوبها ، وقرب موسم انتهاء التشجير لزراعتها . فرتبت الأمور وفق قواعد زراعة الأشجار ، وضربنا موعدا في الخميس القادم ، وانتظرت مع الطاقم الإداري للمسجد الموعد المضروب ، فما وجدنا أحدا حضر ، فاقسمنا الشجيرات فيما بيننا ، وقمنا بغراستها في حدائق بيوتنا .

3 - نصب السوق الأسبوعي عند باب وساحة ومداخل المسجد :

اعتاد رواد هذا المسجد منذ سنوات طويلة نصب سوق أسبوعية قرب المسجد ، ولاسيما في يوم الجمعة ، توضع فيها مختلف السلع الاستهلاكية

والكمالية والضرورية وغيرها .. حيث تتم عمليات البيع والشراء في الساعة المحرمة من العبادة ، حيث يجلس التجار والباعة من تراك الصلاة أمام المسجد في لحظات تيه وعماء وترقب مبهمة ، لا ندري حقيقة المشاعر والانفعالات التي تتأبهم طيلة تلك الفترة ، ينتظرون ساعة التسليم والانتها من الصلاة ، حتى تعلو الأصوات المنكرة للترويج للسلعة ، والتي يهب باتجاهها المصلون بمجرد تلفظهم بالتسليم الثانية . على الرغم من تقديم الدروس والنصائح المبينة للأحكام الشرعية في أهمية الجمعة وفضلها ، وحرمة البيع والشراء في ذلك الوقت والمكان .

4 - دفعهم الدائم لملء فراغات الصفوف :

وبحكم أن المسجد يقبل عليه الناس لنوعية الخطاب الديني الذي يقدم فيه ، أجد نفسي مضطرا عند كل درس من دعوة المصلين ليجلسوا صفوفًا معتدلة مرتبة حتى لا نترك إخواننا يجلسون صيفا لحر الهاجرة ، وشتاء لقر النازلة ، وعرضة للأمطار والثلوج .

5 - تدني همتهم :

ولما تعترض بعض المصلين أو الوافدين إلى المسجد ملة من الملمات أو حاجة من الحاجات ، وتحثهم على فعل الخيرات ، وتدفعهم للتسابق في فعلها ، كما كان الصحابة يتدافعون إليها تدافع الريح المرسله ، لا تجد هممة عالية ، ولا شرف نفس ، ولا علو إرادة ، لأن الحياة لا تبنى إلا بالفرد السليم الصحيح ، والفرد السليم الصحيح لا بد أن تتوفر فيه صفتان رئيستان هما : [شرف النفس ، وعلو الهمة] ، حتى تجد نفسك تردد قول الشاعر من غير تفطن:

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي**

وتساءلت عن نوعية هؤلاء المصلين الأنانيين واللامبالين والسليبين والانطوائيين الكسالى الذين يتسابقون لسماع هذا الخطاب الديني المتميز ، والمتنوع والحيوي بين الشريعة ونقد ومحاكمة الواقع، ورسم خطى ومعال

المستقبل ، بشجاعة وجرأة وصدق وحب لهذا الوطن، ولا يطبقون منه شيئاً يُذكر إلا من بعض الأفراد القلائل، وسرعان ما تماثلت إلى مخيلتي مشاهد القرآن الكريم حول الأمم البائدة وفي مقدمتهم بنو إسرائيل ممن يقولون ما لا يفعلون ، والذين ذمهم الله سبحانه وتعالى في العديد من المرات في القرآن الكريم لناخذ منهم العبرة والموعظة ..

وتساءلت وفكرت آلاف المرات - في خلدي - عن وزن مثل هؤلاء المصلين اللامبالين ، ممن يستمعون أحسن القول ، ويصغون لأفضل الحديث ، ويتفياون أورف الظلال والأمثال النائمة في خلد المصادر التراثية والتاريخية الزاهرة ، ولا يتعدى هذا الخطاب المرونق آذانهم وأسماعهم ، ثم لا يجد طريقه للتطبيق . كما تساءلت عن حقيقة هذه النوعية الرديئة من المصلين ممن لا تتحرك هممتهم لغراسه شجيرة ، أو الرد على استمارة ، أو ترك البيع والشراء لغير تلك الساعة المباركة استجابة لأمر الله ، أو لحث هممهم وملء الفراغات في الصفوف دون تدخل مني حتى يمكننا إخوانهم من الاستظلال أو الاستقرار تحت سقف المسجد .. وعلمت أن مثل هؤلاء لا ينفعون لا في العير ولا في النفير ، وإنما نحن هنا لتأدية واجب الرسالة التي أناطنا الله بحمل شيء من علمها الشرعي ، لنؤدي حق المكلفين من أمثالنا فيها .

* سؤال التزكية المصيري :

وهو من أهم الأسئلة المحورية التي يجب على الداعية أن يطرحها على نفسه ، فيتساءل في خلده قائلاً : هل تزكي دروسي ومواعظي .. قلوب وصدور ووجدان جمهوري المدعو ؟ أم أنني مجرد رقم ينضاف إلى مئات الألوف من الدعاة والوعاظ والخطباء ممن يستفرغون الوسع في تأدية مستلزمات الخطاب الديني الأسبوعي ؟

وتمثل عملية طرح هذا السؤال في سياق عملية الاتصال الدعوي إضافة نورانية واعية لتثمين وتقييم وتقويم وتوجيه وتعديل الجهود الدعوية المبذولة

من قبل الداعية تجاه جمهور المدعوين ، وحتى لا تتعمى الصورة وتتضرب على القائم بالعملية الدعوية ، فيصير حاله كحال الأعمى الذي يقود عميانا مثله .
ومن هنا فالصورة الواعية ستقدم - بلا ريب - رؤية واضحة للداعية حيال جمهوره المدعو ، وستكشف له حقيقتهم وعلاقتهم بالرسالة الدعوية التي يحثهم على اتباعها صباح مساء . ومن ثم إصدار الأحكام الجزئية أو التقريبية عليهم أو الإثمين معا . وقد دفعني سائر قواي ومواهي الفطرية والمكتسبة : العقلية والوجدانية والروحية والحسية والتجريبية إلى إجراء جملة من العمليات المنهجية والعلمية للخروج بالرأي الذي أعتقد - إلى حد بعيد - صوابيته ، فهو الرأي الصواب عندي في استصدار الحكم عليهم بمدى قربهم من الدين أم بعدهم عنه ، والذي سأحكم من خلاله على قطاع كبير من جمهور مدينتي المواظبين على حضور مواعظي ودروسي الأسبوعية الجمعية إلى اعتماد المعايير العلمية .

وقد تساءلت وحللت وافترضت وفككت كثيرا وعميقا وموضوعيا منذ بداياتي الدعوية مع رواد مسجدي ومواعظي في سنة التجربة والدراسة الممتدة من شهر جانفي 2005م إلى غاية شهر نوفمبر 2007م عن مواطن كمون الخلل في عدم نفاذ تأثيرات الرسالة الدينية في نفوس السامعين والمحبين والراغبين ، أهو في شخصي كداعية أستعمل ركاما معقدا ومتراكبا من الرموز والوسائل الدعوية المختلفة ، أم في مضامين الرسالة التي أحاول سوقها لهم بكافة وسائل التشويق والتحييب والتبسيط والدفع الأخوي والديني الودي الصادق ؟ أم في البيئة المتخلفة التي تحيط بي وبهم ؟ أم في ذواتهم كمدعوين غير مؤهلين للرقى إلى عتبات الخطاب السماوي السامق ؟ أم إلى الظروف الذاتية والداخلية المحيطة والخانقة ؟ أم إلى سيول الفساد الجارفة تجاههم كل أوقات النهار والليل المباشرة وغير المباشرة ، التي تدفقها وسائل الإعلام والاتصال المعادية؟

وللتوثيق العلمي ، وضمانا لصوابية نتائج الدراسة فقد أمسكت بكل عنصر على حدة إمساك الدارس المحايد ، الذي يحلل ويفكك ويذرر الأشياء ليردها إلى عناصرها الأساسية ، ثم يقوم بإعادة تركيبها ورصها وفق ما هي عليه ، ثم يفصلها بردها إلى أصولها الحقيقية لاكتشاف مواطن الخلل والانحراف . وهذا ما تم بالفعل ما أخضعت له لسيول من الأسئلة والقصاصات والاستفسارات والاستفتاءات الكتابية والشفهية الواردة علي طيلة هذه السنين الثلاث . والتي درستها وفق المعايير العلمية والإحصائية الكمية والمعنوية والدلالية .

وأمام هذه الموثائق العلمية التي ألزمت نفسي بانتهاجها فقد كانت خشيتي الأساسية من ضياع جهودي الدعوية المبذولة ، حيث صار المدعويون - كلما سمعوا بمقدم واعظ جديد - يتحولون من مسجد إلى آخر على اعتبار نظرية آليات الجذب والتحويل والإثارة في خطف ألباب العامة ، وصار الوعاظ الأكثر إثارة وبيانا وبلاغة وتأثيرا يحولون الجماهير العريضة من الجمهور الدعوي إلى مساجدهم ، فيتغير ميزان التأثير الدعوي في المدينة ، ويضطرب الوضع الدعوي بين الدعاة أنفسهم من جراء عملية التحول الكمي باتجاه مسجد دون آخر ، وإن كان ذلك بحكم نظرية قدرة الرحمان على تحويل القلوب نحو الداعية الصادق والمخلص لأن الله يضع فوق رأس كل داعية ملكا يقول للناس صدقوه أو كذبوه ، فضلا على ما يخفيه هذا العمل الفردي والجمعي من مخاطر تتعلق بحقيقة الإخلاص والصدق في التوجه الدعوي الخالص لخدمة الرسالة وإرضاء الخالق سبحانه وتعالى أولا وآخرا .

* عرض عينات الدراسة ونتائجها :

ونود الآن عرض عينات الدراسة المتمثلة في الجداول الآتية :

المسجد دون غيره ، بالرغم من امتلاكي لرخصة ولائية تؤهلني لتقديم الدروس في كل مساجد تراب الولاية التي تقارب مساحتها (41000) كلم مترع واحد وأربعون ألف كيلو متر مربع ، وبها ثمانية وعشرين بلدين ، ومائة مسجد .

6 - قلة عدد الأسئلة الكتابية المطروحة مقارنة بالشفهية منها .

7 - تقريبية الأعداد ، ودقة عدد الأسئلة الكتابية .

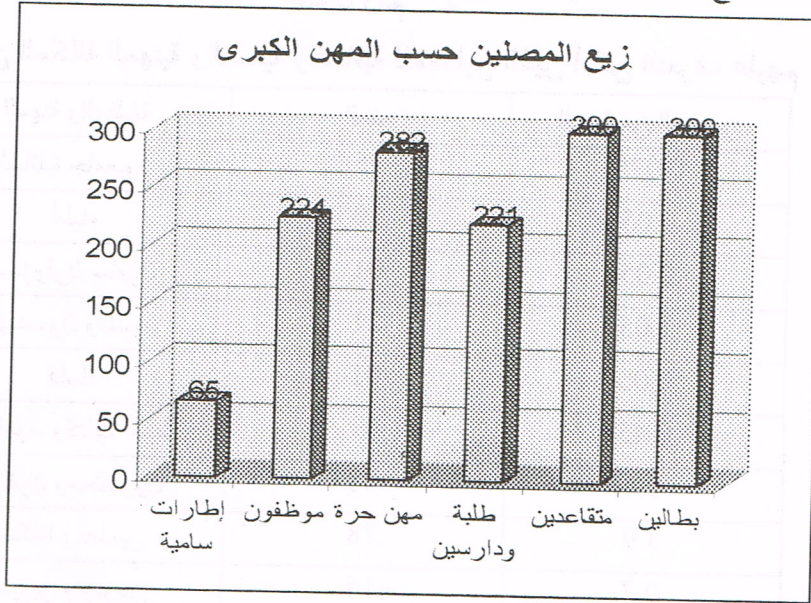
جدول رقم - 2 -

يبين المكانة المهنية والعلمية والثقافية للمصلين الذين أمكن التعرف عليهم

النسبة من المصلين	العدد	المهنة والوظيفة
0.075	15	أساتذة جامعيون
0.05	10	أطباء
0.05	01	مسؤولون سامون
1.05	21	مهندسون وتقنيون
0.05	01	قضاة
0.45	09	محامون وكتاب ضبط
0.4	08	موثقون ومحضرون
3.9	78	أساتذة ومعلمين
0.7	14	مديرين وتربويين
3.3	66	طلبة جامعيين
2.75	55	طلبة ثانويين
2.05	41	موظفين إداريين
1.6	32	أعوان شرطة وأمن
0.8	16	جمارك ودرك وجيش
0.6	12	تجار كبار
0.25	05	مقاولين
0.5	10	عمال الصحة
12.5	250	أصحاب حرف ومهن
1.35	27	سائقين

1.65	33	حراس وأعوان أمن
15	300	متقاعدين
15	300	بطالين
5	100	تلاميذ مدارس
100	1373	المجموع

يمكن جمع المصلين في فئات المهن الكبرى حسبما يبينه الشكل الموالي



* تحليل نتائج جدول رقم 2 :

وما يلاحظ على مستوى ومكانة المصلين العلمية والمهنية والثقافية ما

يلي :

- 1 - كثرة عدد البطالين والمتقاعدين ، حيث يشكلون السواد الأعظم من المصلين ، وللبطالين ظروفهم وأحوالهم وطبيعتهم الخاصة بحكم ما يخضعون له من قهر واضطراب نفسي ووجداني وقهر يومي ، شأنهم في ذلك شأن المتقاعدين الذين لا تختلف ظروفهم وأوضاعهم عن البطالين ، وعندما يشكل مثل هؤلاء العاطلين الحجم الأكبر من المصلين ، فإن العملية الدينية والتعبدية - برمتها - محكوم عليها بالرتابة والسكون والانتظام ، حيث يصير المسجد

مسرحا للسجلات الكلامية ، ويتحول الفضاء الديني إلى واحة من الفراغ القاتل المشحون باللغو واللهو والتسلية ، ويصير المسجد بالنسبة لهؤلاء ملاذا يعرضهم عن الذهاب إلى مواطن العمل . وهم يشكلون أيضا التعداد الكبير لمرتادي المسجد في الصلوات الثلاث ، حيث يقلون في صلاة الصبح والعشاء عدا الشيوخ والطاعنين منهم .

2 - كثرة تعداد أصحاب المهن والحرف من العامة ، ما يجعل رواد المسجد من الطبقة الدنيا للمجتمع ، حيث تغيب الكثير من القيم الدينية والأخلاقية والتربوية والسلوكية ، ويصير الفضاء المسجدي رحبة فسيفسائية بروائح أثواب سائر المهن ، ما ينعكس سلبا على طهارة المسجد ونظافته وراحة المتعبدين الحقيقيين .

3 - قلة أعداد النخب الثقافية والعلمية والمهنية ، وسلبيتهم المفرطة في خلق بؤر وعي موازية ومساعدة للطاغم المسجدي . حيث يؤمن الكثير من الجزائريين بالمقولة الشهيرة - دون أن يرددوها - (صلي وارفع صباطك - حذاءك -) . وهو ما يثقل ويعوق مهمة الطاقم الديني للمسجد .

4 - شعبية هذا المسجد من حيث الحضور والسلوك والثقافة والمكانة .

5 - نقص التفاعل بين فئات المصلين ، وتحول الفضاء المسجدي إلى فضاء كمي وعددي ، لا إلى فضاء تفاعلي توادي تراحمي ، يعطف فيه الكبير على الصغير ، والغني على الفقير ، والمتعلم على الأمي ، والمثقف على الجاهل .. حسب الأصول المرجعية للدين الإسلامي التي تلخصها السيول المتنوعة من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة ، ف [مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى] ، و [أيما أهل عرصة باتوا وبينهم جائع فقد برؤوا من ذمة الله وبرئ الله من ذمتهم] ، و [والله لا يؤمن - ثلاثا - من بات شبعان وجاره جائع] ..

جدول رقم - 3 -

يبين المكانة المهنية والعلمية والثقافية للمصليات اللائي أمكن التعرف عليهن

المهنة والوظيفة	العدد	النسبة بالنسبة للمصليات
أستاذات ومعلمات	05	0.71
مرشدات دينيات	05	0.71
تربويات وإداريات	11	1.57
موظفات	04	0.57
طالبات جامعيات	29	4.14
عاملات	33	4.71
طالبات ثانوية وإعدادية	44	6.28
أعوان صحة	05	0.71
ربات بيوت	204	29.14
أرامل	41	5.85
مطلقات	21	3
عجائز	156	22.28
عاطلات عن العمل	89	12.71
تلميذات صغيرات	22	3.14
متسولات	11	1.57
المجموع	635	100

* تحليل نتائج جدول رقم 3 :

وما يلاحظ على مستوى ومكانة المصليات العلمية والمهنية والثقافية ما يلي:

- 1 - كثرة العجائز والكبيرات في السن، ما يجعل الفضاء المسجدي النسوي قاعة للشؤون الدنيوية حسبما تخبرني به المرشدات والقريبات اللائي تزهرق أنفسهن لإسكات أولاء العجائز الثرثارات، ما ينعكس سلبيًا على بقية المصليات.

2 - كثرة نسبة العاطلات عن العمل ما يجعل الخروج للفضاء المسجدي يوم الجمعة بالدرجة الأولى مسألة حرية وتسلية وترويح عن النفس ، على الرغم من شرعية الخروج الدينية والاجتماعية ، وعدم تنافياها مع رغبة المصليات القابعات في البيوت ، إلا أنها تصير بالنسبة إليهن فرصة للتلاقي والحديث والثرثرة وتبادل المنافع والمصالح والخبرات الدنيوية أثناء وقت الدرس الجمعي والعبادة ، ما ينعكس سلبا على الحركة العلمية والروحية لدرس الجمعة بالنسبة لطالبات العلم والعبادة .

3 - ارتفاع نسبة ربات البيوت وتشكيلهن النسب العليا في صلب الحاضرات في فضاء الجمعة ، ما يجعل الفضاء المسجدي واحة للتلاقي بأحاديث الدنيا وشؤونها من خطبة وتبادل منافع وخبرات وقصص في الحياة .

4 - ضالة نسبة المتعلقات والمتقفات الجامعيات والثانويات وغيرهن من ذوات المهن والوظائف ، ما يجعل التركيبة الفسيفسائية للفضاء المسجدي يغلب عليها الحضور المتواضع من الناحية العلمية والثقافية .

5 - ضعف فاعلية النخب المثقفة في الفضاء المسجدي النسوي إسوة بالفضاء المسجدي الذكوري ، والذي لا يختلف عنه البتة ، إلا في اندفاع الفضاء المسجدي الذكوري بعد التسليمة الثانية اندفاعا أهوج أرعن تتدافع فيه الأعناق والأكتاف ، وتُرفع فيه فوق الرؤوس الأحذية القديمة والملبئة بشتى أنواع الفضلات ، لأن المصلي الجزائري والجزائرية يحضرون إلى المسجد بالأحذية والخفاف القديمة خشية من السرقة التي ابتليت بها هذه الأمة على كافة الأصعدة .

جدول رقم - 4 -

يبين اتجاهات توجه الاهتمامات عبر الأسئلة الكتابية المطروحة من المصلين

والمصليات معا

نوعية الاهتمامات والأسئلة	عددتها	ملاحظات
طلب الدعاء	76	قُدّم درس علمي في شروط إجابة الدعاء
فقه العبادات	41	في الصلاة والصيام والزكاة
فقه المعاملات	19	أغلبها في فقه الأسرة الميمين والطلاق
العقائد وأصول الدين	06	أغلبها عن المظاهر الشريكية ومخالفة الشريعة
المعاصي من الكبائر	16	أغلبها في الخمر والزنا والرشوة والخيانة
ثقافة إسلامية متنوعة	35	الشيعة السلفية الفتنة الكبرى علي ومعاوية
نشدان الضالة	03	
طلب الرقية	03	قُدّمت دروس في الرقية الشرعية
طلب النصحية	09	في التوبة وطريقة تربية الأولاد والحفظ
طلب مساعدة	16	03 حالات لبناء مسجد و13 خاصة
وصف أوضاع الفرد المجتمع	15	وصف الكثير من الأمراض المعيشية فيه كالمحسوبية والمحابة والعصبية القبلية..
تفسير أحلام ومنامات	02	قُدّم درس علمي شرعي في هذا الموضوع
توضيحات للإمام	03	حول سوء فهم لبعض الأسئلة
توجيهات للإمام	02	قُدّمت من زعماء التيار السلفي بالمدينة بهدف توجيه الخطاب الديني في المسجد والتحكم فيه
طلب استعارة كتب	02	من مكتبة الإمام الشخصية
طلب إهداء مؤلفات الإمام	10	من مكتبة الإمام الشخصية
مدح وشكر لمنهج الإمام	73	لا تكاد تخلو أي ورقة مرسلة من مدح

* تحليل نتائج جدول رقم 4 :

وما يلاحظ على جدول رقم 4 وهو الأهم بين هذه الجداول اتجاهات الأسئلة ، ومعها أمكن التعرف الحقيقي على اتجاهات التدين لدى المصلين ، وهو ما يعكس الواقع الديني لدى المصلي الجزائري ، وما يمكن تسجيله من الملاحظات الاستراتيجية ما يلي :

1 - ضالة أسئلة العقيدة وأصول الدين ، بشكل مثير وملفت للانتباه ، مع بروز قرون المظاهر الشريكية المبالغ فيها ، كوضع أشواك الضريع في خلفية السيارات ، وخمسة اليد ، وبعض التماثيل والأشياء المختلفة .. حماية من العين . والذهاب للأضرحة والتبرك والتمسح بها ، ووضع علامات شريكية على المنازل درءاً للحسد والعين .

2 - ضالة أسئلة الكبائر بشكل ملفت للانتباه ، حيث لم تتعد أسئلة الكبائر ستة عشر 16 سؤالاً طيلة سنوات الاختبار الثلاث .

3 - ضالة أسئلة فقه المعاملات بشكل ملفت للانتباه ، حيث لم تتعد أسئلة البيوع والأقضية والدين والرهن ورد العارية تسعة عشر سؤالاً 19 طيلة سنوات الاختبار الثلاث .

4 - كثرة أوراق مدح الإمام والثناء على دروسه وبلاغته وفصاحته وخلبه للألباب ، على ما اعتاد عليه الناس اليوم من نفاق وملق وخداع .

5 - كثرة أسئلة طلب الدعاء المختلفة ، لاعتقاد العامة بطيابة وطهارة الإمام ، الذي يتوسمون فيه الخير والاستجابة ، ومع إقرارنا بمشروعية الدعاء والأدعية وما ورد في هذا الباب من أدلة ، إلا أننا نؤغل في فهم العقل الاسطوري والغيبى المنافي لاتخاذ السنن والخضوع للنواميس وممارسة الحياة وفق المنهج العلمي المدروس ، فتتردى الانتكاسات على العامة ، فيحسبون أن رتقها يكون

لدعاء من الإمام الذي يتوسمون فيه الطهارة والنقاء ، وهو غارق في الذنوب المعاصي .

- كثرة أسئلة فقه العبادات حتى ليتأكد الدارس أن الدين عند العامة هو بادات فقط . وهو ما حصر الناس في الفهومات القاصرة ، وما جعل الدين قوقع في زاوية ضيقة نظريا وواقعا وحياتيا .

- ضالة أسئلة طلب النصح ومعرفة المنهج الأسلم في التربية والتكوين النجاح في الحياة ، ما يبين اعتزاز الجزائري بنفسه ، وعدم تفتحه على الآخر بفضل ، وعدم تقبله لأي تجربة ناجحة .

- وصف الواقع الجزائري المر ، والإكثار من البكاء عليه بسلبية مفرطة ، ونما حراك حضاري ديني فاعل يبدو من المصلين .

- كثرة أوراق طلب المساعدة المادية والأدبية والمعنوية والروحية . ما يبين إضعاف همة المصلي الجزائري ، ونشده الأذى . فقد تلقت الكثير من طلبات مداء الكتب ، وجمع المال والصدقة ، وما رافقها من بكاء وتأسف وتألم تصنع باد للعيان .

1- كثرة أسئلة الثقافة الإسلامية حول : السلفية والسلفيين والشيعة والخوارج حزب الله والإعلام الإسلامي وتفسير الكثير من الظواهر السياسية المعاصرة الحرب في أفغانستان والعراق والشيخان وفلسطين ودارفور والصومال العولمة ..

جدول رقم - 5 -

يبين اتجاهات توجه الاهتمامات عبر الأسئلة الشفهية المطروحة من المصلين

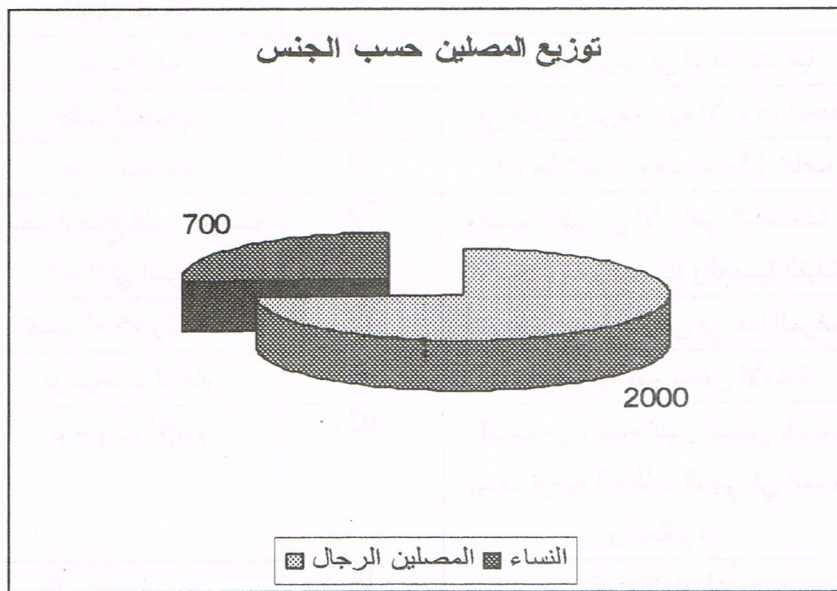
والمصليات

نوعية الاهتمامات والأسئلة	عددها	ملاحظات
طلب الدعاء	59	قُدم درس علمي في شروط إجابة الدعاء
فقه العبادات	41	في الصلاة والصيام والزكاة
فقه المعاملات	26	أغلبها في فقه الأسرة اليمين والطلاق
العقائد وأصول الدين	04	أغلبها عن المظاهر الشريكية ومخالفة الشرع
المعاصي من الكبائر	21	أغلبها في الخمر والزنا والرشوة والخيانة
ثقافة إسلامية متنوعة	18	الشيعة السلفية الفتنة الكبرى علي ومعاوية
نشدان الضالة	00	
طلب الرقية	89	قُدمت دروس في الرقية الشرعية
طلب النصيحة	12	في التوبة وطريقة تربية الأولاد والحفظ
طلب مساعدة	58	03 حالات لبناء مسجد و13 خاصة
وصف أوضاع الفرد المجتمع	33	وصف الكثير من الأمراض المعشعة فيه كالمحسوبية والمحابة والعصبية القبلية..
تفسير أحلام ومنامات	14	قُدم درس علمي شرعي في هذا الموضوع
توضيحات للإمام	03	حول سوء فهم لبعض الأسئلة
توجيهات للإمام	02	قُدمت من زعماء التيار السلفي بالمدينة بهدف توجيه الخطاب الديني في المسجد والتحكم فيه
طلب استعارة كتب	14	من مكتبة الإمام الشخصية
طلب إهداء مؤلفات الإمام	24	من مكتبة الإمام الشخصية
مدح وشكر لمنهج الإمام	101	لا تكاد تخلو أي ورقة مرسله من مدح

* تحليل نتائج جدول رقم 5 :

وما يلاحظ على جدول رقم 5 وهو من حيث الأهمية لا يختلف عن سابقه في نوعية الأسئلة الكتابية ، ولكنها وردت بالصيغة الشفهية التي كنت أقوم بتدوينها في حينها ضمن سجل أسبوعي ، ومعها أمكن التعرف الحقيقي على اتجاهات التدين لدى المصلين ، وهو ما يعكس الواقع الديني لدى المصلي الجزائري ، وما يمكن تسجيله من الملاحظات الاستراتيجية ارتفاع نسبة الأسئلة الموجهة في الرقية والدعاء وطلب المساعدة وتفسير الأحلام ونشدان الضالة ، والمدح والشكر للإمام .

الشكل الموالي يبين لنا توزيع المصلين حسب الجنس .



جدول رقم - 6 -

يبين نسبة المهتمين بالحياة الدينية الصحيحة من المصلين والمصليات معا عبر
الأسئلة الكتابية

عدد المصلين	عدد المصليات	المجموع	عدد الأسئلة الكتابية	النسبة المئوية
2000	700	2700	331	%12.22

* تحليل نتائج جدول رقم 6 :

- 1 - أن كل 12 اثنى عشر مصلينا من بين مائة مصلين ومصلية طرحوا سؤالاً واحداً ، يعني أن واحداً طرح السؤال ، وأن السبعة الآخرين جاؤوا للمسجد لأداء العبادة فقط ، وجلهم من الأميين أو اللامبالين .
- 2 - أن جل الأسئلة الكتابية في فقه العبادات أو في جوانب الغيب .
- 3 - أن نسبة الوعي الديني متدنية جداً في المصلين ، نظراً لأن فعل الكتابة غائب في حياتهم .
- 4 - عدم إيلاء المرجعية الدينية المكانة التي تستحقها في حياة الناس .

جدول رقم - 7 -

يبين نسبة المهتمين بالحياة الدينية الصحيحة من المصلين والمصليات معا عبر
الأسئلة الشفهية

عدد المصلين	عدد المصليات	المجموع	عدد الأسئلة الشفهية	النسبة المئوية
2000	700	2700	519	%19.22

* تحليل نتائج جدول رقم 7 :

- 1 - أن كل 19 تسعة عشر مصلينا من بين مائة مصلين ومصلية طرحوا سؤالاً واحداً ، يعني أن واحداً طرح السؤال ، وأن العشرة الآخرين جاؤوا للمسجد لأداء العبادة فقط ، وجلهم من الأميين أو اللامبالين .

2 - أن جل الأسئلة الشفهية في فقه العبادات أو في جوانب الغيب والدعاء وطلب المساعدة .

3 - أن نسبة الوعي الديني متدنية جدا في المصلين ، نظرا لغياب الفعل الواعي والواقعي في تسيير شؤون حياتهم .

جدول رقم - 8 -

يبين مستوى المصلين الاقتصادي والاجتماعي

النسبة المئوية للفقراء	دون خط الفقر	فقراء	متوسط الحال	جيدو الحال
48	1300	1000	300	100

* تحليل نتائج جدول رقم 8 :

1 - بين أن جل المصلين والمصليات من الفقراء أو الذين هم دون مستوى الفقر .

2 - أن خط الطاعة والتدين متدن جدا في الطبقات الفقيرة .

3 - أن الخضوع لسلطان الدين وطاعة المرجعيات تلاشى حتى لدى أدنى الطبقات ، وهو مؤشر خطير عن حالة الإغماء واللاوعي والتلاشي التي مست الطبقات الدنيا من المجتمع .

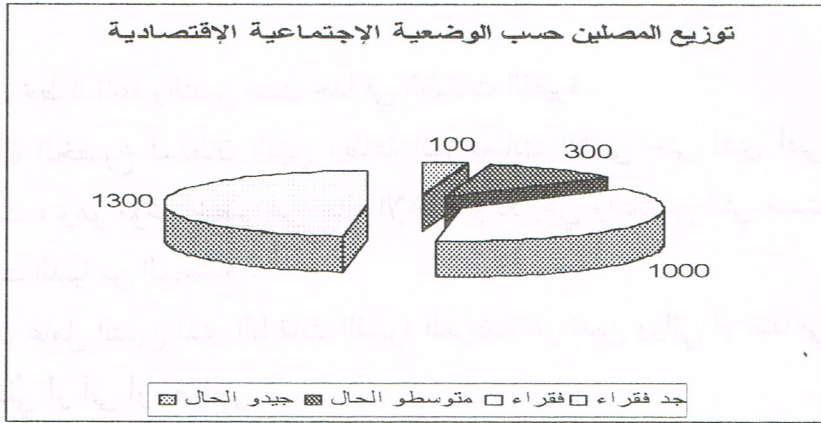
4 - أن عامل التدين لدى الطبقات الفقيرة العريضة هو تدين وراثي أو انتفاعي أو شكلي أو آني أو مصلحي .

جدول رقم - 9 -

يبين مستوى المصلين الاقتصادي والاجتماعي

النسبة المئوية غ	دون خط الفقر	فقراء	متوسط الحال	جيدو الحال
%3.70	1300	1000	300	100

الشكل الموالي يقترح لنا صورة واضحة عن الوضعية الاجتماعية الاقتصادية



* تحليل نتائج جدول رقم 9 :

- 1 - بين أن القلة من المصلين والمصليات من ذوي المكانة الاجتماعية والاقتصادية الجيدة .
- 2 - أن خط الطاعة ضئيل أيضا لدى الفئات الجيدة اقتصاديا واجتماعيا .
- 3 - أن سلطان الدين والخضوع لضوابط الشريعة تلاشت عند النخبة أيضا ، وهو مؤشر خطير على المناخ الثقافي والفكري والعلمي الذي آلت إليه النخبة .
- 4 - سلبية النخبة وانسلاها من مشروع تشييد الوعي والنهوض بالطبقات المسحوقة من الأمة من الناحية الفكرية والعلمية والأدبية والسلوكية والأخلاقية ، فضلا عن المالية والمادية .
- 5 - أن عامل التدين لدى النخب انطوائي وغير فعال ، وانعزالي وغير مؤار ، بحيث تكتفي النخبة بممارسة العبادة والتدين ممزوجة بالسلبية المفرطة والانطوائية المثبطة .

* نتائج الدراسة :

وما يمكننا تصوره وتشخيصه وعرضه بشكل تقريبي من نتائج ينحصر في التالي :

1 - بالنسبة لمستوى المصلين والمصليات الاجتماعية والاقتصادية :

1 - بين أن جل المصلين والمصليات من الفقراء أو الذين هم دون مستوى الفقر .

2 - أن خط الطاعة والتدين متدن جدا في الطبقات الفقيرة .

3 - أن الخضوع لسلطان الدين وطاعة المرجعيات تلاشى حتى لدى أدنى الطبقات ، وهو مؤشر خطير عن حالة الإغماء واللاوعي والتلاشي التي مست الطبقات الدنيا من المجتمع .

4 - أن عامل التدين لدى الطبقات الفقيرة العريضة هو تدين وراثي أو انتفاعي أو شكلي أو آني أو مصلحي .

5 - بين أن القلة من المصلين والمصليات من ذوي المكانة الاجتماعية والاقتصادية الجيدة .

6 - أن خط الطاعة ضئيل أيضا لدى الفئات الجيدة اقتصاديا واجتماعيا .

7 - أن سلطان الدين والخضوع لضوابط الشريعة تلاشت عند النخبة أيضا ، وهو مؤشر خطير على المناخ الثقافي والفكري والعلمي الذي آلت إليه النخبة .

8 - سلبية النخبة وانسلاخها من مشروع تشييد الوعي والنهوض بالطبقات المسحوقة من الأمة من الناحية الفكرية والعلمية والأدبية والسلوكية والأخلاقية ، فضلا عن المالية والمادية .

9 - أن عامل التدين لدى النخب انطوائي وغير فعال ، وانعزالي وغير مؤار ، بحيث تكتفي النخبة بممارسة العبادة والتدين ممزوجة بالسلبية المفرطة والانطوائية المثبطة .

2 - بالنسبة لنوعية الأسئلة والاهتمامات :

1 - أن جل الأسئلة الشفهية في فقه العبادات أو في جوانب الغيب والدعاء وطلب المساعدة .

- 2 - أن نسبة الوعي الديني متدنية جدا في المصلين ، نظرا لغياب الفعل الواعي والواقعي في تسيير شؤون حياتهم .
- 3 - ضالة أسئلة العقيدة وأصول الدين ، بشكل مثير وملفت للانتباه ، مع بروز قرون المظاهر الشريكة المبالغ فيها ، كوضع أشواك الضريع في خلفية السيارات ، وخمسة اليد ، وبعض التماثيل والأشياء المختلفة .. حماية من العين . والذهاب للأضرحة والتبرك والتمسح بها ، ووضع علامات شريكة على المنازل درءا للحسد والعين .
- 4 - ضالة أسئلة الكبائر بشكل ملفت للانتباه ، حيث لم تتعد أسئلة الكبائر ستة عشر 16 سؤالا طيلة سنوات الاختبار الثلاث .
- 5 - ضالة أسئلة فقه المعاملات بشكل ملفت للانتباه ، حيث لم تتعد أسئلة البيوع والأقضية والدين والرهن ورد العارية تسعة عشر سؤالا 19 طلية سنوات الاختبار الثلاث .
- 6 - كثرة أوراق مدح الإمام والثناء على دروسه وبلاغته وفصاحته وخلبه للألباب ، على ما اعتاد عليه الناس اليوم من نفاق وملق وخداع .
- 7 - كثرة أسئلة طلب الدعاء المختلفة ، لاعتقاد العامة بطيبة وطهارة الإمام ، الذي يتوسمون فيه الخير والاستجابة ، ومع إقرارنا بمشروعية الدعاء والأدعية وما ورد في هذا الباب من أدلة ، إلا أننا نوغل في فهم العقل الأسطوري والغيبى المنافى لاتخاذ السنن والخضوع للنواميس وممارسة الحياة وفق المنهج العلمي المدروس ، فتتردى الانتكاسات على العامة ، فيحسبون أن رتقها يكون بالدعاء من الإمام الذي يتوسمون فيه الطهارة والنقاء ، وهو غارق في الذنوب والمعاصي .
- 8 - كثرة أسئلة فقه العبادات حتى ليتأكد الدارس أن الدين عند العامة هو عبادات فقط . وهو ما حصر الناس في الفهومات القاصرة ، وما جعل الدين يتوقع في زاوية ضيقة نظريا وواقعا وحياتيا .

9 - ضآلة أسئلة طلب النصح ومعرفة المنهج الأسلم في التربية والتكوين والنجاح في الحياة ، ما يبين اعتزاز الجزائري بنفسه ، وعدم تفتحه على الآخر الأفضل ، وعدم تقبله لأي تجربة ناجحة .

10 - وصف الواقع الجزائري المر ، والإكثار من البكاء عليه بسلبية مفرطة ، دونما حراك حضاري ديني فاعل يبدو من المصلين .

11 - كثرة أوراق طلب المساعدة المادية والأدبية والمعنوية والروحية . ما يبين تواضع همة المصلي الجزائري ، ونشده الأذى . فقد تلقت الكثير من طلبات إهداء الكتب ، وجمع المال والصدقة ، وما رافقها من بكاء وتأسف وتآلم وتصنع باد للعيان .

12- كثرة أسئلة الثقافة الإسلامية حول : السلفية والسلفيين والشيعة والخوارج وحزب الله والإعلام الإسلامي وتفسير الكثير من الظواهر السياسية المعاصرة كالحرب في أفغانستان والعراق والشيشان وفلسطين ودارفور والصومال والعولمة ..

ومن هنا يمكننا فهم اتجاه التدين الحقيقي لدى الفرد الجزائري ، ولدى النوعية المتميزة والجيدة منهم ، ممن يقيم الصلاة ويحضر الدروس والمواعظ والجمعات ، ويؤدي بعض فرائض الإسلام ، وبالتالي يمكن للقائمين على الخطاب الديني من تعديل الاتجاه العام لمنحى التوجيه ، وتصحيح المسار الرسالي لمضامين الخطاب وفق الجهة المبتغاة ، ضمانا للفوز والنجاة في الدنيا، ورغبة في الفلاح بجنة الآخرة . وصدقت حكمة الله القائلة : { فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى } (طه : 123 .. 126) .